فكاهات

رواية

القتيل (١)

كان في مدينة ملبرن من استراليا شابان انكليزيان يقال لاحدهما هنري وللآخر جورج وكان كلاهما من الاسر الغنية وقد ورثا عن والديهما اموالاً طائلة ولم يكن لهما احد من الاهل في تلك البلاد فجمعتهما رابطة الصداقة وجامعة الوحدة فتصادقا وتآخيا وكانا لا يُفرقان عن اخوين من أب واحد . وكانا قد تلقيا علومهما الابتدآئية في بعض مدارس استراليا ثم خطر لهما ان يذهبا الى انكلترا ليدرسا فيها علم الحقوق بقصد زيادة الاطلاع وتوسيع المدارك لا بغية التعيش من تلك الصناعة فانهما كانا في حالة مالية تكفيهما معاناة الاشغال . وبعد ان اقاما مدة في لندن واتما دروسهما اخذا في زيارة بعض المدن البريطانية ترويحاً للنفس قبل عودتهما الى وطنهما استراليا فالقاهما الترحال في مدينة من مدن اسكتلندا وكان في ظاهر المدينة قرية مشهورة باجتماع الشبان للالعاب البدنية والرياضة فقصداها ولبثا هنالك اياماً يجولان بين الوهاد والهضاب وقد اعجبهما ما رأياهُ من المناظر الطبيعية . واتفق ان اطلاّ يوماً على سهلٍ صغير فوقعت اعينهما على رجل نائم على التراب بهيئة غير طبيعية وكانهُ يتلذذ بحرارة الشمس الواقعة عليهِ فحسباهُ سكران . فوجها خطواتهما نحوهُ لينظرا ما امرهُ ولكنهما لم يبلغا اليهِ حتى وقفا مبهوتين لانهما رأيا منظرًا تقشعرّ لهُ الابدان . وكان الرجل المذكور كهلاً تدل هيئتهُ على انهُ من اسرة كريمة ويدل لباسهُ على انهُ من ذوي الثروة والجاه ولم يكن سكران ولا نائماً بل كان مقتولاً وقد وجدا في صدغهِ

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الايمن ثقب رصاصة قد اندفق منهُ الدم فصبغ بياض لحيتهِ وشعر رأسهِ وسال على ثيابهِ الى الارض. فانحنى جورج الى الرجل وجسّ يدهُ لعلهُ يدرك بهِ رمقًا فوجد انهُ قد فارقتهُ الحياة من زمنٍ ولبث الاثنان ينظران الى الجثة وهما لا يدريان ما يفعلان ثم قال هنري دعنا نفحص في جيوب الرجل لعلنا نعثر على اسمهِ او نعرف احدًا من ذويهِ فبحثا فلم يجدا شيئًا سوى منديل الرجل ومحفظة للنقود خالية ولم يجدا معهُ شيئًا يدل عليهِ . فقال جورج اظنني عرفت قاتلهُ . فقال لهُ هنري وكيف ذلك . قال رأيت بين الذين اتّموا هذه القرية رجلاً يقارب هذا في العمر اشقر الشعر ازرق العينين خالج صدري حال وقوع نظري عليهِ انهُ ينوي في هذه البلدة شرًّا لما لاحظتهُ من قلقهِ المستمرّ وعدم قرارهِ ومن نظراتٍ وحشية كنت اقرأها في عينيهِ . وعندي ان لا نضيع الوقت سدًى بل ينبغي ان نعجل الى شحنة البلد ونعلمهم بالخبر قبل ان تقلع الباخرة من الميناء ويفرّ القاتل . فاستصوب هنري رأي صاحبهِ واسرع الاثنان عدوًا قاصدين المدينة غير انهما ما اشرفا عليها حتى رأيا الباخرة قد اقلعت وامعنت في عرض البحر فوقفا حينًا يتأسفان على تأخرهما وقد ترجح عندهما فرار القاتل

ولما بلغا المدينة اعلما جهة الاختصاص بما رأياهُ فاسرعت رجال الشحنة الى محل الحادثة وشرعت في التحقيق ولكنهُ بعد طول البحث ودقة التفتيش لم يعرف عن القتيل شيء ولم يوجد معهُ ما يستدلّ بهِ عليهِ واخيرًا قرّر الشرطة عدم امكان معرفة القاتل وتبادر الى ذهن رجال الحكومة ان الرجل قد انتحر فاودعوهُ التراب ونسي امرهُ كانهُ لم يكن . ثم سافر جورج وهنري عائدين الى استراليا وما عتما ان نسيا هما ايضًا هذه الحادثة فاصبحت لدى العالم باسرهِ في خبر كان

وكان هنري وجورج لا يطيق احدهما فراق الآخر فاقاما في دارٍ واحدة يتمتعان بلذة القرب وطيب المعاشرة . وعاد جورج في احد الايام الى المنزل وقد مضى على اجتماعهما هذا مدة خمس سنوات فرأى هنري واقفًا وحولهُ اربعة من صناديق السفر فاستغرب جورج الامر وقال لهنري اراك مستعدًّا للسفر ولم تعلمني بذلك فما الخبر . فضحك هنري وقال ابى الله ايها الصديق ان افارقك ما دمنا متآخيين

متصافيين وهذه الصناديق ليست لي وانما هي لسيدة وصلت مع الباخرة الآن وهي تجهل البلاد ولم تجد من يستقبلها . وقد صادفتها على الرصيف ورأيت ما هي فيهِ من الارتباك فعرضت عليها مساعدتي فقالت انها ارسلت تلغرافًا ينبئ بقدومها ولكنها لم ترَ احدًا لدى وصولها الى البرّ فوجدت من فروض الانسانية ان اتخذ على نفسي خفارتها واوصلها الى مقرها سالمة فدعوتها الى هنا ريثما تستريح قليلاً من وعثآء السفر ثم نسير بها الى حيث تشآء ان تذهب . وبينما هو في الحديث اذا بالفتاة قد خرجت بعد ان بدّلت ثيابها واصلحت شعرها فعرّفها هنري بصديقهِ جورج وأخذت الفتاة تشكر معروف هنري واهتمامهُ بها ثم اطلعتهما على شيء من خبرها فقالت

انني ولدت في استراليا وتوفي ابواي وانا صغيرة السن بعد ان اقاما عمي وصياً عليّ وتركا في يديهِ ثروتهما الطائلة واملاكهما الكثيرة . وكان عمي ولا يزال عزباً الى الآن فرباني عندهُ بغاية العناية والانعطاف حتى اذا بلغت الثانية عشرة من عمري اخذني الى انكلترا لاتلقى فيها العلوم . وبعد ان اوصلني الى احدى المدارس المشهورة عاد الى املاكنا هنا ليعتني بها ويحافظ عليها وكان يكاتبني مع كل بريد ويزورني من سنة الى أخرى وآخر مرة زارني فيها وعدني انهُ متى فرغت من دروسي يعود بي الى استراليا فنسكنها معاً . وقد كتب اليّ منذ نحو خمس سنوات يعلمني بحضورهِ ليصحبني معهُ ولكنهُ اتبع كتابهُ بكتاب آخر يقول فيهِ انهُ مرض فجأةً ولم يعد قادرًا على السفر ويلح عليّ ان ابقى في انكلترا في المدرسة وانهُ يبعث اليّ بالنفقة اللازمة . وكان حبي لعمي عظيماً واحتفآئي بهِ شديدًا فكتبت اليه في الحال وقد اقلقني مرضهُ وسألتهُ ان يسمح لي بالسفر اليهِ لاعتني بهِ وأمرّضهُ فلم يكن ليسمح لي البتة بذلك بل كان يلحّ عليّ بالبقآء في انكلترا واني اذا فارقتها اخالف رضاهُ واستوجب كدرهُ فاضطررت ان ابقى . ومضت هذه المدة الطويلة وهو يحتج بمرضهِ انهُ يمنعهُ من زيارتي ويحظر عليّ المجيء اليهِ حتى مرّت هذه السنوات الخمس فلم يبق لي صبرٌ على الانتظار وحملني شوقي الى عمي ان خالفت اوامرهُ فتركت انكلترا وجئت ولو لم يرضهِ حضوري وفي يقيني انهُ يصفح عن ذنبي هذا عند ما اصل اليهِ واقبل

يديهِ. وقد بعثت اليهِ امس بتلغراف اعلمهُ بقدومي وانتظرت انهُ يستقبلني او يرسل من ينوب عنهُ في ذلك فخاب املي وسآء فألي ولا اعلم هل ان رسالتي لم تصلهُ او سآءهُ قدومي فلم يحلُ لهُ استقبالي . ولما كانت قد طالت غيبتي عن استراليا وحدث في مدة غيابي عدة تغييرات في البلد رأيت انهُ غير ممكن لي ان اذهب بنفسي الى قريتنا وقد رأيت في وجهك ايها الشهم دلائل الكرامة وطيب الاصل فلم احجم عن القآء امري اليك وطلب مساعدتك في ايصالي الى حيث اقصد

فقال هنري اليكِ ايتها السيدة ما ترومين فلا احب الينا من خدمتكِ وقال جورج ان عندنا عربةً تقلّ راكبين فقط فهنري يوصلكِ بامان وانا اتكفل بايصال امتعتكِ فما عليكِ الا ان تعطينا اسم المحل الذي تقصدينهُ . قالت انني من أسرة باترسون وقريتنا تعرف بهذا الاسم وهي على ما اظن تبعد مسافة خمسة اميال من هنا . وكان الشابان يعرفان تلك القرية الجميلة وما فيها من الاملاك الواسعة والخيرات الكثيرة الا انهما كانا يجتنبان الذهاب اليها والتنزه بين غاباتها لان الرجل المقيم فيها كان يحب العزلة والانفراد فلم يكن يختلط مع احد من مجاوريهِ

ولما استراحت الفتاة اركبها هنري عربتهُ وساق بها الى قرية باترسون واكترى جورج عربة نقل ارسل اليها معها صناديق الفتاة وامتعتها

ولما بلغ هنري والفتاة القرية وقفا بالعربة امام منزل عمها وكان بناءً فخيماً يدل على سعة يد ولطف ذوق وحسن ترتيب فترجل هنري وقرع الباب ففتحتهُ عجوزٌ وكانها استغربت القادمين فاحجمت الى الورآء وسألتهما بتردد ماذا يريدان . فقالت الفتاة هل المستر باترسون هنا . قالت العجوز لا فانهُ سافر الى مدينة سدني من يومين ولا ادري متى يرجع لكنهُ قال انهُ لا يغيب اكثر من اربعة ايام . وقد اتتني بالامس رسالة برقية باسمهِ لم ارسلها اليهِ لانهُ لم يترك هنا عنوان المكان الذي هو فيهِ فابقيتها الى حين رجوعهِ . فتبسمت الفتاة وقالت هي الرسالة التي بعثتها اليهِ اعلمهُ بقدومي . ثم نظرت الى العجوز وقالت انا أليس باترسون وقد جئت من انكلترا لارى عمي وهو لا يعلم بقدومي ولكن بما انهُ غائب فسأنتظرهُ . فنظرت

اليها العجوز وهي لم تظهر لها ادنى اهتمام وقالت لها ان لي في خدمة رب هذا البيت ما يقرب من خمس سنوات ولم أرَ قط سيدةً جآءت تزورهُ قبل الآن ومع ذلك فاذا شئتِ ان تبقي هنا الى حين رجوعهِ فلا مانع البتة وهو متى جآء فاما ان يستقبلكِ على الرحب والسعة والا فهو ادرى مني بما ينبغي صنعهُ . وكان هنري يسمع كلام الفتاة والعجوز فاستآء من عدم وجود عمها ولم تعجبهُ طريقة مقابلة العجوز لأليس ولكنهُ بقي صامتاً فادخلتهما العجوز الى غرفة الاستراحة وقدمت لهما بعض المنعشات فجلسا يتحادثان الى ان وصلت امتعة أليس وقامت لايداعها في الغرفة التي عينتها لها العجوز . فقام هنري مودعاً ولكنهُ لم يتمكن من اخفآء قلقهِ لبقآء الفتاة وحدها في تلك القرية فقال لها اني لعدم معرفتي بعملكِ لا اتمكن من زيارتكِ فيما بعد غير اني ارجو ان تعديني انكِ اذا اعوزكِ امرٌ او احتجتِ الى خدمة مهما كانت لا تتأخرين عن مكاتبتي فانا ورفيقي مستعدان لقضآء كل ما يلزمكِ وعنوان محلنا هو كذا في شارع كذا . ثم ودع الفتاة وودعتهُ شاكرةً معروفهُ ورجع الى منزلهِ

ورأت أليس اسباب الراحة متوفرة في بيت عمها فاقامت تنتظر عودتهُ وقضت نهارها بين تلك الخمائل الغنآء والغابات الفسيحة تتمتع بشذا الزهور وتغريد الطيور ورأت في الاصطبل خيلاً فاختارت منها جواداً وكانت حاذقة بالركوب فامتطت صهوتهُ وجعلت تفحص حدود القرية وتصرف اوقاتها بالتنزه والرياضة . ومضى عليها اربعة ايام على هذه الحالة وفي اليوم الخامس ورد على العجوز رسالة فضتها فاذا بها من سدني من المستر باترسون يعلمها بانهُ عائدٌ في صباح اليوم التالي . فأطلعت أليس على الرسالة وهي تبشرها بقدوم عمها ولكن أليس ما وقع نظرها على الكتابة المذكورة حتى وقفت حيرى ثم سألت العجوز قائلةً هل انتِ متحققة ان هذا خط عمي . قالت نعم واذا كان عندكِ اقل ريب فتعالي قابليهِ مع سائر خطوطهِ في دفاترهِ واوراقهِ ثم اخذت أليس الى غرفة المكتبة وفتحت لها درجاً مملوءا اوراقاً فرأت اليس فيهِ رسائل عديدة ودفاتر صغيرة فجلست لكي تقابل الخط ولكنها ما لبثت ان رأت بين تلك الاوراق ما استوجب انتباهها فغرقت في البحث فيها الى ان

نادتها العجوز الى العشآء فقامت وقد امتقع لونها واحتبس لسانها فلم تاكل في تلك الليلة شيئاً وذهبت الى غرفتها لتنام فلم تذق غمضاً . ولما انبثق نور الصباح نهضت وارتدت ثيابها ثم ركبت جوادها بعد ان قالت للعجوز انها ذاهبة لتلاقي عمها على محطة ملبرن . واخذت اليس تعدو الى ان بلغت المحطة فانتظرت ريثما وصل القطار ونزلت ركابهُ واذا بينهم رجل متقدم في العمر اشقر الشعر ازرق العينين قد تقدم الى حوذيّ وطلب منهُ ان يوصلهُ الى قرية باترسون . فلما سمعت أليس ذلك الاسم تقدمت الى العربة وحيت الرجل فرد تحيتها فقالت لهُ هل حضرتك المستر باترسون صاحب هذه القرية . قال نعم انا هو . قالت وهل أليس باترسون الموجودة في انكلترا هي ابنة اخيك . قال نعم وهي اعزّ من ابنتي ايضاً ولكنني لا اظن انني اعرفها لو رأيتها الآن فقد مضت عليّ سنوات عديدة لم ارَها فيها . قالت أليس انا من رصيفاتها في المدرسة وقد عدت منذ شهر الى وطني فكلفتني ان ازور باترسون وان ابلغك شوقها واحترامها وهي تتوسل اليك ان تأمن برجوعها فقد سئمت العيشة في انكلترا وتودّ جدًّا ان تكون في قرب عمها لتأنس بهِ وتكون في خدمتهِ . قال لها هذا مستحيل ومن يستبدل معيشة لندن الزاهية بهذه البلاد المقفرة . كلا انني لا اظلمها بالمجيء الى هنا وارجو منكِ اذا كنتِ حقيقةً صديقتها ان تكتبي اليها وتقنعيها ان لا تطلب المجيء الى هنا البتة . أتعديني بذلك . قالت وصوتها يرتجف نعم أعدك . ثم ألح عليها ان ترافقهُ الى القرية ليقدم لها شيئاً وهو يودّ ان لا تفعل فرفضت شاكرة ثم ودعتهُ بقصير الكلام فذهب الى منزلهِ وحثت جوادها الى ملبرن

وكان هنري وجورج جالسين في غرفة من منزلهما يتحادثان ويعيدان ذكرى ما مرّ بهما في ايامهما ثم توصلا الى حديث أليس واخذا يتسآءلان عما لعلهُ يكون قد تمّ من امرها واذا بوقع حوافر قرع آذانهما ثم اخذ الصوت يقترب الى ان بلغ الباب الخارجي من منزلهما . فأطلاّ لينظرا من القادم واذا بأليس مقبلة وعلى وجهها علامات الانقباض مع الاصفرار الشديد فاسرعا لملتقاها وانزلاها عن جوادها ثم دخلا بها المنزل . ولما استراحت وملكت حواسها اخذت تقص على الشابين حديثها

وهي دامعة الطرف فقالت اني بقيت وحيدةً في ذلك المنزل الى صباح هذا اليوم وقد وردت علينا امس رسالة تنبئنا بقدوم عمي ولكن بعد وصول الرسالة اماطت التقادير عن عينيّ نقاباً وألقت امامي نوراً فعثرت على يوميات هذا الشيخ الغادر فوجدت انهُ ليس بعمي بل انهُ قد قتل عمي سرًّا في بلاد بعيدة وانتحل اسمهُ واستولى على كافة الاملاك والاموال وكان يجتهد في ابقآئي في انكلترا وابعادي عنهُ كي لا ينكشف امرهُ مفضلاً دفع مصاريفي القليلة هنالك على حضوري الى هنا وافتضاح الامر . ثم حدثتهما كيف قابلتهُ في هذا الصباح وما جرى بينهما وكيف تركتهُ يذهب ناعم البال وجآءت اليهما بمنتهى السرعة ليساعداها في القبض على هذا الجاني واستخلاص حقها منهُ . ثم انهُ في اثنآء الحديث اخرجت أليس من صدرها صورة وقالت هذه صورة عمي المقتول ظلماً فآه من لي بمن يدلني على ضريحهِ فازورهُ وابكيه ثم فاضت دموعها . ورأى هنري الصورة فحظت عيناهُ وناولها لجورج قائلاً الا تتذكر هذه الهيئة . ففحصها جورج وقال بلى هذه نفس صورة القتيل الذي رأيناهُ في اسكتلندا . أجل هذا هو بعينهِ . ثم سألاها عن الرجل الذي قابلتهُ في الصباح فذكرت لهما صفتهُ فوجدها جورج تنطبق على نفس الشخص الذي رآهُ هنالك ايضاً ورجح انهُ هو القاتل . ثم دبرا امورهما وركب هنري قاصداً القرية واوصى جورج ان يلاقيهُ من الطريق الاخرى ويستصحب معهُ رجال الشرطة

وبلغ هنري منزل باترسون فقرع بابهُ فاستقبلتهُ العجوز فسألها عن المستر باترسون فقالت انهُ وصل الى هنا هذا الصباح واستخبر عما حدث في غيابهِ ثم دخل غرفتهُ فغاب هنيهةً وخرج مسرعاً فقال انهُ قد عرضت لهُ سفرةٌ ضرورية ربما يغيب فيها اشهراً وركب جواداً من افضل خيلهِ وسار ينهب الارض بعد ان ترك هنا كتاباً اوصاني ان اسلمهُ اليك

فتناول هنري الكتاب من يدها وقرأهُ فاذا هو يقول فيه

« ... اني قتلت باترسون منذ خمس سنوات في اسكتلندا واستأثرت باسمهِ وامواله الى الآن بدون ان يعلم احد . وقد تعقبتماني في اسكتلندا وابلغتما امري الى

شحنتها وكدتما تظفران بي لولا ان فتح لي سبيل للنجاة حتى خلصت الى هنا . اما الآن وقد ظهر الامر بقدوم الفتاة الملعونة فقد قرب فوزكما ولكن خسئتما فان تنالا مني قلامة ظفر وها انا سائرٌ في طريق يستحيل عليكما ان تتبعاني فيها . واعلمكما اني كنت مستعدًّا لمثل هذه المفاجأة ولذلك فان املاكك باترسون مرهونة والاموال الطائلة اصبحت باسمي وقيمتها اوراقٌ في جيبي فاذا ظفرتما باليس فأخبراها انها لن تجد في هذه البلاد سوى الفقر المدقع والحاجة الشديدة فلو بقيت في انكلترا لكان افضل لها ولي فلتلعنها السماء ولتلعنكما معها فقد سببتما لي هذه المصائب »

فحرق هنري باسنانهِ غيظًا على فرار هذا المجرم من يدهِ وجعل يفكر فيما يجب ان يفعلهُ ثم خطر لهُ ان يتتبع الطريق التي سار الرجل منها الى ان يلتقي بجورج والشحنة فلعلهم يكونون قد صادفوهُ . فما ابعد حتى رأى جورج قادمًا ومعهُ خمسة من الشرطة فلما اقترب منهم صاح وا اسفاه لقد نجا اللعين . ثم ناول الكتاب لجورج فقرأهُ و بعد ان اتمّ قرآءتهُ نظر الى هنري مبتسمًا وقال اما قولهُ انهُ سائرٌ في طريق يستحيل علينا اتباعهُ فيها فصحيح واما ان نجدهُ سائرًا فيها فسهلٌ وقد وجدناهُ . قال هنري وكيف ذلك . قال بينما نحن قادمون وقد بلغنا منعطف الاكمة رأينا عن بعد فارسًا يعدو كالبرق واذا بجواده قد عثر فسقط براكبه الى الارض وللحال اسرعنا الى المكان فوجدنا الرجل صريعًا لاحراك بهِ لانهُ وقع على امّ رأسهِ وفقد الحياة للحال وقد وجدنا معهُ هذه المحفظة وهي مملوءة من الحوالات والاوراق المالية فاخذتها وتركت معهُ بعض الرجال يحملونهُ الى هنا

واستحضر هنري وجورج أليس ثم رفعا الامر الى الحكومة مؤيدًا بالادلة والبراهين فاعيدت الاملاك والاموال باسرها الى أليس . واستأذنت أليس في نقل عظام عمها من اسكتلندا الى املاكها في ملبرن فاذن لها ولما انقضت ايام حزنها اقترن بها جورج و بقي هنري مقيمًا معهما فقضوا جميعًا حياة طيبة عاشوا فيها على تمام الصفو والرغد الى ان فرّقت بينهم الاقدار